فمدحتهم ، كما أن مدح أولئك لا يعد ذنبًا ، كذلك مدحي لمن أحسن إليَّ لا يعدُّ ذنبًا .» [١]

وقريبٌ من هذا ما أسماه ابن الأثير (**الاستدراج**) واعتبره من مُخادَعات الأقوال التي تقوم مقام مُخادَعات الأفعال ، وهو يتضمن نكتًا دقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب ﴾ فقد أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم ، فقال : لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبًا ، فكذبه يعود عليه ولا يتعداه ، أو يكون صادقًا ، فيصيبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له [٢].

وقريب منه أيضًا ما أسماه أبو هلال (**الاستشهاد والاحتجاج**) ، وهو قريب في دوره الدلالي من التذييل حيث يأتي المعنى ثم يؤكَّد بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحُجَّة على صحته ، كقول الشاعر :

إنَّما يَعْشَقُ المَنَايا مِنَ الأقْـ ـوامِ مَنْ كانَ عاشقًا لِلمَعالي

وَكَذَلِكَ الرِّماحُ أوَّلُ ما يُكْسَرُ مِنْهُنَّ في الحُروبِ العَوالي [٣]

وإذا كان للعقل هذا الأثر في تلوين الدلالة فإن من طبيعة الأمور أن يتجه النقاد إلى أهمية بروز الدلالة في شكل يسهل إدراكه دون جهد كبير ، وليس معنى هذا أن تأتي المعاني مُسَطَّحة قريبة المضمون ، وإنما يكون الأمر بين

(١) القزويني : الإيضاح ، ص ٢٦٣ . (٢) ابن الأثير : المثل السائر ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .
(٣) أبو هلال : الصناعتين ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .